الهوية الليبية

مكوناتها وما يهددها من أخطار

د. زكية بالناصر القعود

٢٠٢٤

اسم الكتاب: الهوية الليبية مكوناتها ومايهددها من أخطار

تأليف: د .زكية بالناصر القعود

غلاف: فاطمة رمضان

تدقيق لغوي: مريم أحمد

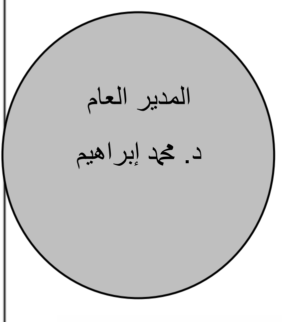
تنسيق: منى الغريب

الطبعة: الأولى

المقاس: ١٤*٢٠

رقم الإيداع: / ٢٠٢٤

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧ - - -





الناشر: عين حورس للطباعة والنشر والترجمة

المقر: ٣ شارع م/ شوقي عبد المنعم- عمارة ٨ هـ

تقسيم اللاسلكي – خلف شارع النصر- المعادي

رقم الهاتف: ٠١٠١٣٥١٨١٥٥

واتس: ٠١١٥٣١٦٥٦٣٢

البريد الإلكتروني: ainhouras٢٢@gmail.com

المقدمة

الهوية الوطنية تتطور وتتحور مع مرور الوقت، بتبدل وتطور وتغيّر معتقدات وتوجهات الناس، فهي تتأثر بمعتقدات الناس وشعورهم الوجداني بالانتماء، ثم باللغة والدين والثقافة السائدة بشكل عام، كما تتأثر بالاتجاهات السياسية والإيديولوجية المتنافسة والمختلفة، وكذلك بعملية انصهار العوامل الديموغرافية والثقافية في إقليم جغرافي ما من خلال وسائل المصاهرة والمجاورة بين شرائح وفئات السكان، ومن خلال آليات الهجرة والاستيطان، والحروب والاستعمار.

ونحن هنا لا نتحدث عن الهوية الليبية القديمة، عندما كان اسم الليبيين يشمل كل سكان شمال إفريقيا البيضاء، ربما باستثناء مصر الفرعونية، بل نتحدث عن ليبي العصر الحديث، فالهوية الليبية اليوم محصورة في شعب دولة ليبيا الحديثة، التي استقلت عام ١٩٥١م.

والشعب الليبي الحالي، شعب مسلم، يغلب عليه الطابع العربي في الانتماء واللغة، واللهجة الليبية الشعبية السائدة، مع وجود بعض السكان الليبيين غير العرب، كالليبيين الأمازيغ والتبو وغيرهم.

ومعلوم أن الهوية الوطنية تتغير وتتطور ويُعاد تشكيلها من حيث النسل والنسب - أي من حيث "الهارد وير" Hardware - وكذلك من حيث الثقافة والمعتقدات، فمثلا الهوية الأثيوبية اليوم تعني سكان دولة أثيوبيا

الحديثة، ولا تشمل سكان أفريقيا السوداء كلهم، كما كان عليه الحال في العهد الروماني والإغريقي القديم[١].

وفي عصرنا هذا أصبحت الوطنية، والانتماء للوطن والدولة جزءًا أساسيًّا في هوية الناس والسكان، والليبيون اليوم أمة وطنية واحدة، يغلب الطابع الإسلامي والعربي على شعور وثقافة الغالبية العظمى من أفرادها، إلا أن المُكوّن الأمازيغي وكذلك الزنجي الإفريقي والصحراوي من حيث "العنصر" وكذلك من حيث "التأثير الثقافي" يظل حاضراء في (الشخصية الوطنية الليبية) المعاصرة، ويظل بالتالي جزءاً لا يتجزأ من هوية هذه الأمة التي تم الإعلان عن ميلادها من ضمن الأمم المتحدة في العالم من خلال الإعلان عن ميلاد دولة ليبيا، هذه الهوية التي كانت تغيب لعقود من عمر هذه الأمة لصالح مشروعات غير مدروسة، قادها القذافي وفق توجهات قومية متطرفة، ممزوجة بتوجهات فكرية غريبة عن المجتمع الليبي، تمثلت في توجه علماني أساسه الفكر الاشتراكي، مهجن بنظام حكم سياسي مشوه، فرضه بالحديد والنار على هذه الأمة لعقود، تغير فيها اسم الدولة، والجنسية الممنوحة لرعاياها، وأسلوب العيش، والتجارة، والتعليم، والرياضة، والفن، وغير ذلك، قبل أن ينقلب على عقبيه في النهاية ليعترف أنها دولة فاشلة، وينكر مشروع القومية العربية ويتجه لأفريقيا، ويكفر بسلطة الشعب وينصب نفسه بأموال الليبيين ملكا لملوك أفريقيا، ليبتدئ في مقامرة ضخمة جديدة على حساب الأمة الليبية وهويتها، أنهتها ثورة الليبيين عليه في ١٧ فبراير ٢٠١١م.

---

(١) سليم الرقعي، مفهوم الهوية الليبية (من هم الليبيون؟): موقع ليبيا المستقبل، برابط: http://www.libya-al-mostakbal.org.

وعلينا قبل أن نمضي في حديثنا عن الهوية نود نتوقف هنيهة لنحاول تعليل ضعف أو عدم تشكل الهوية الليبية في وقت مبكر على غرار جارتها .

من خلال طرح السؤال التالي: لماذا لم تبلور الهوية الليبية منذُ القرن الوسيط كما هو الحال في مصر وتونس المغرب؟[٢].

إن محاولة تعليل هذه الظاهرة ليس أمرًا سهلًا، غير أن يمكن أن نعلل هذا الظاهرة ضمن عدة أسباب أثرة في المجتمع الليبي بصفة عامة؛و من هذه الاسباب.

١- سوء الإدارة:

مع نهاية القرن الأول الهجري كان الإسلام، قد استقرَّ بليبيا، ثم تجاوزها حتى عمَّ بقية أقطار المغرب العربي والأندلس، وكانت سياسة الولاة في الفترة الأولى من الفتح الإسلامي تمتاز بالمساواة والتسامح مع الأهالي، وأثر ذلك فيهم؛ فتحول كثير منهم إلى الإسلام، خاصة في فترة حكم حسان بن نعمان (٧٣-٨٥ ه) ومن جاء من بعده من ولاة صالحين؛ سعوا على تطبيق مبدأ المساواة معهم، إلا إنه بعد ذلك وخاصة في الفترة ما بين (١٠٢-١٣٢ ه) تولى خلفاء وولاة ليسوا بالصلاح الذي كان عليه من سبقهم؛ أدى ذلك إلى

(٢) القعود، زكية بالناصر: العوامل التي أثرث على الحياة الثقافية في طرابلس الغرب خلال العهود الإسلامية، دراسة في العلوم العقلية الفترة ما بين (٢-١٠هـ /٨-١٦م)، مجلة الثقافة العربية، العدد الثاني (بنغازي،٢٠٠٧)، ص ٩٧.

سوء الأحوال السياسية والإدارية، فكان ذلك عاملًا أساسًّيا من عوامل الثورات التي قام بها البربر على العرب في ليبيا[٣].

وفي هذا الصدد يقول الدكتور إحسان عباس: «إن اعتناق الأهالي للمذهب الخارجي ذو دلالات عميقة؛ فهو يعبِّر عن ميلهم إلى التشدد في فهم التعاليم الإسلامية، وتمسكهم تمسكًا يصبح قوة معارضة ضخمة في وجه الدولة حين يسلك ولاتها مسالك اجتهادية يشوبها التساهل في ممارسة بعض الأمور بحكم تطور الزمن، وهو يدل على تشبث بتطبيقها دون خلل – وذلك أمر لا يدرك مدى العسر فيه إلا من اضطلع بمسؤولية تطبيقه وحين يصبح الدين سلاحًا، فقد تختفي وراءه نزعات أخرى كالعصبية العنصرية والرغبات المادية وغير ذلك، ولكن ثورات البربر في أغلبها كان غضبها المحنق على أهدار الحقوق»[٤]. كما يقول محمود ناجي في هذا الصدد: «إلا إنه في أواخر حكمهم (الأمويين) أدى سوء تصرف بعضهم لإغراق إفريقية وخاصة طرابلس في الفتن والحروب الأهلية»[٥].

ويضيف البرغوتي: «لم تكن (ثورات الأهالي) ناجمة عن تعصب للعرقية البربرية في مجابهة العرقية العربية، بقدر ما كانت ناجمة عن تشابه النظرة للحياة والتعلق بالحرية المطلقة والتمسك بالديمقراطية المتطرفة؛

---

[٣] البرغوتي ، عبد اللطيف محمود: تاريخ ليبيا الإسلامي، من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر العثماني، منشورات الجامعة الليبية، دار صادر (بيروت، ١٩٧٢م) ، ص ١١٢- ١١٣.

[٤] عباس: إحسان: تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى القرن التاسع الهجري، دار ليبيا (بنغازي، ١٩٦٧م)ص٣٩

[٥] ناجي، محمود: تاريخ طرابلس الغرب، ترجمة، عبد السلام، محمد الإسطي، منشورات الجامعة (بنغازي، ١٩٧٠م) ص١٣٢.

ذلك أن البربر (الأهالي)، شأنهم في ذلك شأن العرب من حرية وانطلاق... لذلك فقد كانوا نزاعين بطبيعتهم إلى تلك الحرية... وعلى ذلك الأساس فإن الوالي العربي المسلم أو البربري إذا لم يتصرف وفقًا لروح الإسلام ثار عليه البربر المسلمون»[٦].

٢- الصراع العقائدي:

كان الاختلاف العقائدي بين (السنة والأباضية) من عوامل ضعف الحياة الثقافية في هذه الولاية، رغم أن هناك فترات سلام وإن لم تدم طويلًا، فكان الصراع بين الأغالبة والرستميين يأخذ إضافة الى جوانبه السياسية وجهًا آخر وهو الجانب العقائدي، وكان إلى جانب ذلك اختلاف آخر في فترة الحكم الفاطمي (٣٠١- ٣٦١هـ) كان بين السنة والأباضية ضد الشيعة الإسماعلية، خلال (٣١١هـ - ٣٦١هـ)، إلا أن هذه الفترة تتسم بالهدوء النسبي عن الفترة السابقة (الاغالبة والرستمية)[٧].

٣- الصراع السياسي:

إنَّ المتتبع لتاريخ ولاية طرابلس خاصَّة، يلاحظ أنها كانت منطقة صراع بين القوى المتصارعة على الحكم من الشرق والغرب، وغالبًا ما كانت القوة المهيمنة من الغرب، فمثلًا الأغالبة يرون في طرابلس ولاية تابعة لهم، وفي نفس الوقت يرى سكانها أنه يجب أن يكون لهم حكم ذاتيًّا، وهذا جعلها

---

(٦) البرغوتي: المرجع نفسه، ص ١١٤.
(٧) المرجع نفسه، ص١٢٩.

في صراع دائم مما حرمها من الاستقرار أسوة بالمراكز الحضارية الأخرى كالقيروان والقاهرة.

إذ ظلت هذه المنطقة تشهد نزاعات وحروب بين الدول المتصارعة (الأغالبة والطولونيين والرستميين)، كل منها تعمل على جعلها خاضعة لها، وفي نفس الوقت كان ولاة طرابلس يسعون كلما حانت لهم الفرصة لإعلان تمردهم محاولين تكوين حكومة مستقلة على غرار جاراتها، وهذا كله أثَّر بطبيعة الحال على الأوضاع الثقافية في البلاد، ففي فترة حكم الأغالبة تعاقب على ولاية طرابلس (١٧٩- ٢٩٦ ه) أكثر من تسعة ولاة قام سكان طرابلس بالعديد من ثورات التمرد ضدهم، كذلك عندما أصبحت طرابلس تابعة للفاطميين بعد موقعة جادو سنة (٣١١ ه) قام سكانها بالثورة عليهم، إلا أنه بوجه عام تمتعت ولاية طرابلس باستقرار نسبي في عهد الدولة الفاطمية.

كما شبَّ صراع بين الصنهاجيين والزناتيين (٣٦٧- ٣٩١ه)، وبين خزرون والزناتيين (٣٨١- ٥٤٠ ه)؛ كل ذلك أثَّر في الحياة الثقافية في ولاية طرابلس[٨]. كما كانت الأطماع النصرانية في الاستيلاء على مدينة طرابلس تمثل جانبًا آخر من الأخطار التي تتهدَّدها، حيث سقطت في يد النورمان (٥٤١-٥٥٣ ه)، كما أنَّ اتخاذ أعداء دولة الموحدين طرابلس مسرحًا لمنازعاتهم السياسية المريرة حرمها من الأمن والاستقرار، فأصبحت طرابلس منطقة شدٍّ وجذب ما بين الحفصين أنصار الموحدين، وبنى غانية وقرقوس

---

[٨] إتوري روسي: ليبيا منذ الفتح حتي سنة ١٩١١م، ترجمة خلية التليسي، دار الثقافة (بيروت، ١٩٧٣م) ص ٦٣-٩٩.

ومماليكه خصوم الموحدين، أضف إلى ذلك غزو الإسبان وفرسان القديس يوحنا، وآخر هذا الفترة بسيطرة الدولة العثمانية على ليبيا[٩].

٤- الهجرات العربية:

لو نظرنا إلى التركيبة السكانية في ليبيا في فترة العهود الإسلامية، لوجدناها تتكون أغلبها من الأهالي الذين لم يكن لهم مراكز حضارية واضحة، ولم يكن لهم اهتمام بالعلم؛ فهم أغلبهم من البدو، بالإضافة إلى الوافدين، وهم الفاتحون أو من القبائل المهاجرة، وجلهم من عرب اليمن وهم أيضًا من البدو التي تغلب عليهم النزعة القتالية وعدم الاستقرار، وعدم الخضوع إلى السلطة الإدارية، فهم ينقادون إلى حكم العشائر أكثر من النظام الدولة[١٠]؛ لهذا لم يلتفتوا لدراسة العلم، فهم رجال حرب أكثر منهم رجال علم.

ولقد اختلف المؤرخون بعد اتفاقهم على دور الهجرة الهلالية الذي لا ينكر دورها في تعريب البلاد، اختلفوا في تقديرها والحكم عليها فاعتبروها كارثة من الناحية الحضارية، ويعتبرها بعضهم الاخر نافدة فتحت أعين البلاد على الحضارة الأجنبية، وآخرون يعتبرونها سببًا في تدمير البلاد والإتيان على ما فيها من أخضر ويابس، بينما اعتبر آخرون أنَّ دمار البلاد كان سابقا لهجرة بنى هلال وسليم ويقلل من تقدير الدمار الذي لحق البلاد على أيديهم. ومجمل هذا الآراء لخصها الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب في قوله:

---

[٩] البرغوتي: المرجع السابق ، ص١٤٤ توري روسي: ليبيا منذ الفتح حتي سنة ١٩١١م، ترجمة خلية التليسي، دار الثقافة (بيروت، ١٩٧٣م) ص ٦٣-٩٩.

[١٠] عمر، أحمد مختار: النشاط الثقافي في ليبيا من الفتح الإسلامي حتي بداية العصر التركي، منشورات الجامعة الليبية (بنغازي، ١٩٧١م) ص٨٦.

«الحقيقة التي لا يتطرق إليها شك... أن العرب لما قدموا فاتحين لم يجدوا في البلاد سوى خرائب متهدمة تعلوها مسحة من زخرف قديم أبلاه الدهر وغير نضارته الزمان لتعاقب الفتن وتوالى المحن. ولم يصيبوا غير مدائن متداعية البنيان، نزرة السكان، ضعيفة الإيراد... ولهذا السبب لم يفكر العرب في نصب مركزهم الذي عزموا على إيجاده في البلاد المفتوحة على أنقاض إحدى تلك المدائن البالية... ولو أن في البلاد عاصمة قديمة تناسب الفاتحين لما ارتادوا سواها، كما فعلوا في الشام وطليطلة ثم قرطبة في الأندلس»(١١).

٥ - فقدان الإدارة المركزية:

إن المراكز الحضارية التي قامت في ليبيا قبل الإسلام وبعده لم تصل إلى مستوى المراكز الحضارية الإسلامية في المغرب أو المشرق، ولذلك ظلت طرابلس حضاريًّا واقعة تحت الحضارات المجاورة لها من الشرق والغرب، وهذا يرجع إلى أن ليبيا - وبخاصة طرابلس - لم تكن عاصمة مركزية على غرار العواصم الأخرى، رغم أنها استطاعت أن تكون ذلك في بعض الفترات، إلا أن هذا لم يستمر طويلًا لأنَّ المقومات الحضارة في طرابلس كعاصمة لم تكون متوفرة باستمرار فيها بسبب الأوضاع السياسية والاقتصادية، إذ أنَّ العلوم وليدة العواصم(١٢)؛ لهذا نلاحظ أن قبلة العلماء دائمًا تكون نحو العواصم الكبرى. فأغلب النفوس تطمع إلى الشهرة إن لم تكن تطمع إلى الثروة والعكس صحيح. فلهذا كان العلماء من ليبيا يهاجرون إلى المراكز الحضارية التي تملك من المقومات ما لا تملكها ولاية طرابلس ولا ولاتها ا من

---

(١١) البرغوتي: المرجع السابق، ص ٢٩٨.
(١٢) عباس: المرجع السابق، ص ١١٥.

الجانب الحضاري والاقتصادي والسياسي؛ فهي في أغلب العهود الإسلامية ولاية ضمن ولايات المغرب العربي، ولم تكن محط الطامعين للشهرة والثروة.

٦- العواتق الجغرافية:

ونقصد بذلك المناخ والتضاريس والسكان.

تحتل ليبيا مساحة كبري من مساحة المغرب العربي فهي تطل على ساحل البحر المتوسط، ومتوغل في الجنوب، ومدنها غير مرتبطة بسبب الموانع الطبيعة منها الصحراء. كما أنَّ قلة المياه فيها واعتمادها على الأمطار الجوفية يجعل عدد كبير من السكان لا يستقرون فيها فنجد تجمع السكان في مناطق متفرقة من ليبيا؛ حيث تتوافر أساليب العيش من ماء وأرض صالحة للزراعة والموانئ والمحطات التجارية، وهذه العوامل الطبيعية لا تشجع على تكوين مجتمع مدني يؤدي إلى تكوين عاصمة بمقوماتها الأساسية.

إلى جانب ذلك كانت منطقة نزاع بين القوة الحكام سواء من المشرق أو من المغرب، هذا أدي إلى كثرة الحروب والفوضى والاضطراب ممَّا أثَّر في الحياة الاقتصادية وبالتالي في الحياة الثقافية.

٧- اتساع مفهوم الهوية:

لم تكن الحدود والأقاليم واضحة المعالم في العهود الإسلامية، فكان المسلمون مواطنين في عالم إسلامي واحد حر، لا يعترف بشيء من الحدود السياسية، مما جعل العالم أو طالب العلم يتنقل بين الأقاليم الإسلامية لا ينتسب إلى طرابلس ولا إلى تونس والى مصر بل إلى الإسلام ويرى أن جميع

الأقاليم الإسلامية وطنه. لذا نجد كثيرًا من علماء الشرق استقروا في الغرب وبالعكس، ولكن ربَّما يقال: هذا عالم مشرقي أو مغربي أو فارسي، ولا يقال: هذا تونسي وهذا مصري وهذا عراقي، فوحدة الدين هي الغالبة بين العرب في العهود الإسلامية.

جملة من هذه الاسباب التي توضح لنا عدم بلورة الهوية الليبية في وقت مبكر

التمهيد: مفهوم الهُوية وعناصرها وأهميتها.

أولاً: تأصيل مفهوم الهُوية:-

لفهم قضية الهُوية علينا أن ننظر إلي القضية بعيون عربية لا من عيون غربية، فالهُوية في الغرب تُدرس في إطار النموذج المادي، هذا المنهج يلغي الهُوية تماماً، لأنه لا يتعامل مع الواقع إلا من خلال معايير مادية، وهي معايير عاجزة بطبيعتها عن رصد الهُوية في كل تركيبتها، وهذا المنهج يرى أن الإنسان يتسم بسمات عامة "أضيفت" إليها الحضارة، أي أنها ليست أصيلة فيه، وبذلك تتحول الهُوية إلي مسالة مضافة آليا، وهذا المنهج لا يعرف حدود الهُوية وليس عنده أي إدراك أو اكتراث بالقيم الأخلاقية والمعنوية، حيث إن الإنسان الطبيعي هو ذاته الإنسان الاقتصادي، لذا فكل مطالبه وتطلعاته تظل داخل السقف المادي، وكل الخلافات هي خلافات اقتصادية، ونتيجة لهذا الفهم نجد أن الإدراك الغربي، وما جاراه من إدراكٍ ساد في الوطن العربي للهوية؛ يتأرجح بين نقطتين هما: (أنا في مقابل الآخر) والثانية (لا حدود ولا هويات)، فالغرب يعرِّف الهُوية تعريفاً عضوياً، أي يرى الهُوية كياناً متماسكاً تماماً كأنها نبات أو حيوان، أو أي كيان عضوي لا يمكن أن تفصل أجزاء منه ويُكتَب له البقاء.

أما الشرق بنكهته الإسلامية فمنظوره عن الهُوية ليس عضوياً، إنما هي كيان فضفاض، تجمع جميع الجماعات، ويُسمح لها أن تشارك وتبدع، وهذا النموذج للهُوية مرفوض من الغرب.

إن نظرة الغرب للهوية بأنها عضوية، تجعل الإنسان صاحب الهُوية هو ذاك الذي يعيش على أرضه القومية، ومجاله الحيوي موضعٌ لحلول ومرجعية ذاته، فظهرت فكرة الدولة والقومية العضوية، وكل المفاهيم العنصرية، وقد أدي هذا إلي الحدود الجغرافية، ومن ثم تم القضاء علي معظم الأقليات، فمثلا الثورة الفرنسية قضت على الكثير من الأقليات واللهجات، وهذه صفة في أوربا منذ القدم.

وفي القرن العشرين ظهرت الهُوية كمسألة لها دلالتها، فهي حماية للإنسان ضد عمليات التنميط الزاحفة، وضد العولمة التي كانت توجد بشكل جنيني في بداية القرن، وأصبحت الآن مسيطرة ومهيمنة، ومن هذه الزاوية تأتي أهمية تناول موضوع الهُوية.

فالهُوية في الواقع شكل أساسي من أشكال المقاومة، شرط ألا تتحول إلي "غيتو" يدخل فيه الإنسان ويتخندق.

أما عن تصور الفكر العربي للهوية، فقد تعددت الآراء حول مسالة الهُوية العربية بين النخب، فمنهم من يري في الهُوية معطىً جاهزاً وثابتاً تتوارثه الأجيال دون أن تنقص منه أو تضيف إليه شيئاً، فهي أقرب إلي أن تكون (علامة مسجلة) فلا تغيير ولا تبديل فيها، فهذا الفريق لا يطلب من الناس أي جهد في تحقيق الهُوية وبلورتها، وإنما يطلب منهم الإيمان بها فحسب، وهم بذلك يعزلون هوية الأمة عن سياقها التاريخي والاجتماعي، ويجعلون مدلولاتها ورمزياتها وتجلياتها معزولة عن الجهد البشري علي صعيد البناء الذاتي، وعلي صعيد الصراع مع الآخر المخالف والمعادي، وهذه الرؤية تغلب علي توجه الخطاب الإسلامي المعاصر.

وفريق آخر يري أن الهُوية هي نتاج الإبداعات والمبادرات التي تقوم بها أمة ما علي صعيد بنائها الداخلي وصراعها مع غيرها من الأمم، وهذا الموقف يكاد يُنكِر الثوابت التي تشكل القاعدة الروحية والأخلاقية والتاريخية التي تنطلق منها الأمم في تحقيق هويتها، وأصحاب هذا الموقف يتحسسون من الاعتراف بكون الإسلام يشكل أساس الهُوية لدي العرب ولدي الشعوب التي تؤمن به، فهذا يؤدي إلي النزاع والاختلاف الذي يستحيل معه أن تقوم الأمة بمبادرة حضارية ذات قيمة، وإنما تنشغل النخبة فيها بهدم نفسها، مما يقضي إلى التآكل الداخلي(١٣).

(١٣) المسيري ، عبد الوهاب : الهوية والحركات الإسلامية ، دمشق (دار الفكر ،٢٠٠٩م).

ثانياً: مفهوم الهُوية لغة واصطلاحاً:-

مفهوم الهُوية من المفاهيم التي أثارت جدلاً في الفكر السياسي المعاصر بين التيارات الفكرية، علي اعتبار اللغة والدين من أبرز المحددات لما يمكن أن يطلق عليه "مقومات الهُوية ".

أولا: في اللغة :-

يعني مصطلح " الهُوية " الذات والأصل والانتماء والمرجعية، وهي مأخوذة من الضمير "هو" أي جوهر الشيء وحقيقته، لذا فهوية الشيء تعني ثوابته، وأيضاً مبادئه، ويكفي طرح السؤال التالي لبيان ذلك: من أنا ؟ من نحن ؟ من هو ؟ وهكذا.

ثانيا: الهُوية اصطلاحاً:-

تعرف " الهُوية " علي أنها الحقيقة المطلقة المشتملة علي الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب، أي تلك الصفة والثابتة والذات التي لا تتبدل ولا تسمح لغيرها من الهويات أن تصبح مكانها، أو تكون نقيضاً لها، فالهُوية تبقي قائمة مادامت الذات قائمة وعلى قيد الحياة، وهذه الميزات هي التي تميز الأمم عن بعضها البعض، والتي تعبر عن شخصيتها وحضارتها ووجودها.

وقد عرف الدكتور عبد الكريم بكّار الهُوية بأنها: " مجموعة العقائد والمبادئ والخصائص والترميزات التي تجعل أمة ما تشعر بمغايرتها

عن الأمم الأخرى"، ويؤكد على أن الإسلام أساس الهُوية الإسلامية، ويشكل الإطار العام لحدود تجديد الهُوية وإعادة إنتاجها[١٤].

ثالثا: عناصر الهُوية:-

تتجلي عناصر الهُوية في تلك المظاهر المهمة التي تمثل جوانبها بالنسبة إلى الشعوب والأفراد، وإن كانت تتمثل في الغالب في ثلاثة عناصر تتمثل في:(العقيدة واللغة والتراث الثقافي).

وعليه يمكن تقديم تلك العناصر الأساسية كالتالي:

١. العقيدة أو الدين: يعد الدين أول عنصر من عناصر الهُوية الثقافية، ولعله أهم عنصر مستهدف من قبل الاستشراق والتنصير "الغزو الثقافي" "والعولمة " لإدراكهم ، أن استعادة المسلمين لهويتهم وانتمائهم القرآني أكبر خطر عليهم.
٢. اللغة: تعد اللغة اللسان الثقافي الأساسي للهوية للأفراد أو للشعوب، وهي عامل يبيّن اختلاف ثقافة عن أخري، وهي أسلوب للتواصل وللاحتكار، وإثباتٌ للهُوية وتأكيد وجودها
٣. وقد جاءت نظرية صدام الحضارات لتعلن أن العدو الأول للحضارة الغربية هو الإسلام، وأن الثقافة الإسلامية المرتكزة علي اللغة العربية ذاتها هي المنافس لتلك الحضارة.

(١٤) المسيري ، عبد الوهاب : الهوية والحركات الإسلامية ، دمشق (دار الفكر ،٢٠٠٩م).ص٧٨

٤. التاريخ والماضي: بحيث يمثل التاريخ والماضي المشترك للأفراد أو لشعبٍ ما؛ عنصراً يعبر عن هوية أساسية، فالتاريخ بيّن حقيقة الاستعمار المتجدد في العولمة الثقافية، والتاريخ هو من عناصر الهُوية باعتباره يدرس الماضي ويقف علي الحقائق وتستند إليه الدول والشعوب لبناء الحاضر والتطلع إلي المستقبل.

٥. العادات والتقاليد والأعراف: هذه المكونات هي من صميم هوية المجتمعات من خلال إتباع سلوكيات معينة، وكذلك التصرف والتعامل وفقاً لثقافة تنظمها العادات والتقاليد والأعراف.

ويري د. بكار أنه بالرغم من أن الإسلام يشكل أساس الهُوية الإسلامية، إلا أن عامل التاريخ واللغة والمكان ورسوم الثقافة الشعبية والمصير المشترك؛ كل ذلك يولد لدى المواطن درجة من الوعي بهوية الأمة، وهذه الدرجة هي النقطة التي يمكن أن تصبح رأس جسر للعبور نحو التصحيح والإصلاح، وهي تجمع أفراد الأمة نحو حب الوطن الذي يجسد هويتهم، فيسعوا نحو البناء والإصلاح، فالمواطن يشعر بذاته في هذا الوطن الذي تبلوره معه أهدافه وطموحاته ومشكلاته، وهذا ناتج عن وعيهم بذاتهم، الذي يحدد موقعه وموقع أمة بين الأمم، مما يدفع الفرد إلي السعي بجد وحيوية لتأكيد هوتيه، معتزاً ومفتخراً بها بين الأمم.

فمثلا ثورة السابع عشر من فبراير جسدت تلاحم الأمة، وأصبحت أحداث السابع عشر من فبراير جزءً من هوية الأمة، إذ أعطت الأمة حدثاً يميزها بها عن غيرها من الأمم(١٥).

رابعاً: أهمية الهُوية:-

١. تحمي الإنسان من عمليات التنميط الزاحفة، وضد العولمة، إذ تُعَدُّ شكلاً من أشكال المقاومة.

٢. تجعلنا أقدر وعياً وقدرةً علي نقد الآخرين من دون استلاب أو انبهار بهم أو انغلاق عليهم.

٣. الهُوية عامل من عوامل الإبداع، فالإنسان الذي لا هوية له لا يمكنه أن يبدع، فهو لا يبدع إلا إذا نظر إلى العالم بمنظاره هو وليس بمنظار الآخرين، فالإنسان فاقد الهُوية يكرر ما يقولوه الآخرون، ويصبح تابعاً مقلداً، هذا ما أدركه لورد ماكولي سنة ١٨٣٠م عند قال للبرلمان الإنجليزي عن احتلال الهند: "لقد سافرت في الهند طولاً وعرضاً، ولم أر شخصاً واحداً يتسول أو يسرق، لقد وجدت هذا البلد ثرياً لدرجة كبيرة، ويتمتع أهله بقيم أخلاقية عالية، ودرجة عالية من الرقي، حتي إنني أرى أننا لن نهزم هذه الأمة إلا بكسر عمودها الفقري، وهو تراثها الروحي والثقافي، لذا أقترح أن يأتي نظام تعليمي جديد ليحل محل النظام القديم، لأنه لو بدأ الهنود يعتقدون أن كل ما هو أجنبي وإنجليزي جيد وأحسن مما هو محلي، فإنهم سيفقدون احترامهم لأنفسهم وثقافتهم المحلية،

---

(١٥) المسيري : الهوية والحركات الإسلامية.ص ١٢٢

وسيصبحون ما نريدهم أن يكونوا، أمة تمت الهيمنة عليها تماماً".
هذه هي الخطة الشيطانية التي لايزال الاستعمار الغربي يستخدمها ضدنا، لذا علينا أن نحتفظ بهويتنا ونفعّلها ونعبّر عنها من خلال أعمال إبداعية تخرج من بيئتنا وتعود عليها.

٤. النهوض بالأمة حضارياً؛ فمن الضروري تفعيل الهُوية، لأنها شيء أساسي في عملية النهوض الحضاري، فعملية التنمية لا يمكن أن تتم من خلال برنامج اقتصادي وسياسي عام، وإنما ضمن إطارٍ خاص يعرّف احتياجاتهم، لتصدي لنزعة الاستهلاكية العالمية[١٦].

---

(١٦)مرجع نفسه ١٢٦.

المبحث الأول : مهددات وأزمة الهُوية في الأمة الليبية.

المطلب الأول: ما الذي يهدد الهُوية؟

ليست الهُوية وحدها هي المستهدفة، بل الإنسان نفسه مهدد بسبب ما أفرزته الحضارة الغربية من ظواهر من أهمها:

١- ما يعرف بالاستهلاكية العالمية أو العولمة، التي تضرب صميم ثوابت الإنسان وأخلاقياته.

٢- مشروع (الهُوية اليهودية) وهذا يتطلب تفتيت الهُوية العربية، والعودة بها إلي ما قبل الإسلام، بهدف تقسيم الدول العربية إلي دويلات عرقية ودينية، لتصبح الدولة العبرية مسألة طبيعية للغاية. ضمن هذا المشروع تقسم هوية الأمة الليبية إلي دويلات عرقية[١٧].

(١٧) المسيري ، الهوية والحركات الإسلامية ص ١٤٥.

المطلب الثاني: أثر العولمة علي الهُوية:-

للعولمة تأثيرُ مباشر على مكونات وركائز الهوية مما يجعلها أحد أهم الأخطار المحدقة بها، ونورد هذا التأثير هنا على اللغة والدين والتعليم:

١- اللغة: هي مقوم أساسي لأي أمة، كما أن اللغة أداة للتفكير تبيّن تحديد المفاهيم والقيم والمعاني، بما أن العولمة لا ترضي إلا باللغة الإنجليزية، مدعومة بالإعلام الذي يعمل علي قلع جذور الأمم بالتضليل والترويج للخطط المضللة والممنهجة التي تصل إلي قلب الحقائق، وذلك بتداول بعض المصطلحات المصطنعة لتقلب الحقائق إلي أكاذيب بحجة قبول الآخر، وبحجة المهنية، وبدعوي الانفتاح بالتستر وراء مبررات واهية. كوصف الجهاد بالإرهاب، ومصطلح حقوق الإنسان الذي يضفي الشرعية علي كل التجاوزات والإكراهات التي يمكن فرضها وممارستها علي الآخرين، بالإضافة الي فرض اللغة الإنجليزية لتدريسها للطلاب كلغة رسمية، وهذا بداية مسخ الهُوية الثقافية إرادياً.[(١٨)]

٢- الدين: تستهدف العولمة ديانة وعقائد المجتمعات، خاصة الإسلامية، ومن دلائل ارتكازها على مصطلحات بعينها مثل مصطلح الإرهاب، المناقض لمصطلح الجهاد، والحث غالبا على أن تتصف الدولة المتدينة بالإسلام بدولة إرهابية، مما يؤدي إلي إثارة المنازعات الداخلية والخارجية، وأيضاً؛ مصطلح الحرية الذي يعني التحرر من

(١٨) كاظم ، ثائر رحيم : العولمة والمواطنة والهوية ، مجلة القادسية في الآداب العلوم التربوية ، العدد (١) المجلد ٨ (٢٠٠٩) ص ٣٣.

كل قيد ديني، وهناك ظن أن الإسلام يقيد الحرية، وهذا خطأ لأن الحرية التي تضعها العولمة هي القضاء في نفس الوقت علي حرية الفرد في المعتقد والدين.

وما مجال الحريات وحقوق الإنسان التي يتم الترويج لها من خلال قوانين ومواثيق الأمم المتحدة، وهي تتنافي مع تشريعات الدول التي تأخذ بالشريعة الإسلامية كمصدر رسمي للدستور والقوانين، فقوانين العولمة الوضعية تهدف الي مسخ الشعوب من خصوصية الدين، هذا الأمر يعد من أساليب طمس الهُوية والخصوصية لشعوب[١٩].

٣- التربية والتعليم: تفرض العولمة صياغة المناهج والبرامج التعليمية في المدارس والجامعات والمعاهد والكليات وفقاً للتطور العالمي الديمقراطي في الدول المتطورة علمياً وتكنولوجياً، بحيث تكون تلك المناهج والبرامج موجهة من طرف الغرب وما يساير تطلعاته وتوجهاته، ويظهر ذلك في تصدير البرامج والمناهج المختلفة التي تمس بالكيان الاجتماعي والثقافي للدولة، من حيث تغيير بعض مواد أو مقاييس التدريس، لتحقيق أغراضها السياسية والاجتماعية والعلمية، بالقضاء علي هوية ومناهج وعقلية المجتمع الداخلي للدول. وبهذا يحدث التعارض بين الأجيال في الدولة الواحدة من التأطير والتوجيه والتعليم في فترة اعتماد الدولة علي خصوصيتها أولاً،

(١٩) سحور، محمد : دراسات إسلامية معاصرة (في الدولة والمجتمع)(دار الأهالي ، دمشق)، أبو عنزة، محمد عمر: واقع إشكالية الهوية العربية ،(جامعة الشرق الأوسط ٢٠١١) ص ٤٣.

واعتمادها علي خصوصية البرامج المستوردة ثانياً، ومنه يكون التناقض في المجتمع بين الجيل الكبير والصغير، وينتج عن هذا تغيير المنظومة التربوية بتغيير المنظومة القانونية المؤطِرة والمنظِمة لها[٢٠].

(٢٠) زغو محمد : إثر العولمة علي الهوية الثقافية للأفراد والشعوب ،الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، الشلف، كاظم، ثائر رحيم: العولمة والمواطنة والهوية، مجلة القادسية في الآداب العلوم التربوية، العدد (١) المجلد ٨ (٢٠٠٩) ص ٢٢.

المطلب الثالث: أزمة الهُوية الليبية :-

إن هشاشة الهُوية بين أفراد الأمة الليبية نتيجة عوامل داخلية وخارجية، تولد لديهم ما يمكن أن نسميه بأزمة الهُوية التي تفرز بدورها أزمة وعي تؤدي إلي ضياع الهُوية نهائياً، تتحول إلى أزمة وجود، لعل من أسبابها:

١- الجدل القائم بين النخب حول الهوية للتأصيل لها سياسياً وقانونياً وتاريخياً، مما أدي إلي ضعف إحساس الأجيال الجديدة بهويتهم، وأضعف حساسياتهم تجاه الوافدات الأجنبية، مما سهّل علي القوي الثقافية القاهرة اختراق العديد من جوانب ثقافتنا وموروثنا وخصائصنا وترميزاتنا، مما جعل شعورنا بهويتنا موضع تساؤل.

٢- كما أن المرحلة التي مرت بها الأمة الليبية من تراجع حضاري، أدي إلي عدم تجديدها وإعادة إنتاجها، إذ أدت تلك الفترة إلي إضعاف الهُوية، بل وصلت الي حد الإنكار لها.

٣- شعور الفرد بوجود هوة كبيرة فاصلة بين الهُوية والدولة، حيث تشكل تلك الفجوة الكبيرة مصدراً لتمزيق الذات وتشتيت للوعي، بل قد يؤدي إلي زعزعة الثقة بالدولة والهُوية، وهذا ما عمل عليه النظام السابق طوال أربعين عاماً، علي الرغم من أنه منذ سنة ١٩٥٢م؛ تسعي الدولة إلى بناء مؤسساتها، لتكتسب كل السمات التي تجعلها دولة "حقيقة" شرعية ذات سيادة، إلا أنها لم تنجح في توطيد ذاتها كدولة، لافتقارها إلي كثير من متطلبات أجهزة الدولة

ومؤسساتها، مما أدي إلي تأزم الهُوية بين أفراد الأمة الليبية. - تكريس النظام السابق (القذافي) جهوده في سبيل تحقيق أهدافه التسلطية، علي خلق هياكل داخل الدولة يعمل علي إضعاف عوامل الهُوية الليبية، المتمثل في العوامل الاجتماعية (القبيلة) والعرقية والاقتصادية والسياسية، وذلك بخلط الأجناس الوافدة بالأجناس المحلية، وضرب اللحمة الاجتماعية، وخلق فوضى سياسية واقتصادية، أدت إلى تصارع داخلي يضعف من الانتماء إلي الهُوية.

٤- المقارنة: فالفرد عندما يقارن حال الأمة الليبية بحال غيرها من الأمم، فإن تلك المقارنة تكون مصدراً للشعور بالتأزم إذا وجد أن كل ما على أمته أن تنجزه؛ يتم إنجازه عند غيرها، علي نحو ما نلمسه اليوم عند المقارنة بين كثير من أحوال الليبيين وأحوال الخليجيين مثلاً.

٥- أنا في مقابل الآخر: أي أن يرى أحد مكونات الأمة الليبية أنه هو الأفضل والأجدر بالقيادة والسلطة دون الآخر، وهذا يؤدي إلي تأزم الهُوية، بل علينا أن نري أن الهُوية الليبية، هي مجموعة من السمات الإنسانية المختلفة التي قد تتسم بها جماعات إنسانية أخرى، لكنها توجد بشكل معين وبترتيب محدد يعطي الهُوية الليبية خصوصيتها.

٦- ترهل أو ضعف الهُوية؛ وهذا نتج عن عدم تحديد الهُوية ومرجعيتها النهائية، وهذا يحتاج إلى مشروع حضاري يحتاج إلي إستراتيجية عامة، إلا أن مثل هذا المشروع غائب عن الدولة، مما يؤدي إلي ترهل الهُوية وأضعافها .

٧- إن التهميش لحقب تاريخية وثقافية في فترة زمنية من تاريخ الأمة الليبية، أدي إلي خلق فجوة بين الأجيال وتاريخهم، مما أضعف روح الانتماء، وإضعاف روح الاعتزاز والفخر بأمتهم الليبية[٢١].

(٢١) مهنانة ، إسماعيل : العرب ومسالة الاختلاف (مآزق الهوية والأصل والنسيان) الرباط (دار الأمان ، ٢٠١٤)، ص ١٠٢وكذلك المسيري ،ص ٧٩

المبحث الثاني: مكونات الهوية الأمة الليبية

المطلب الأول: المكون الدين الإسلامي وللغة.

لا يمكن أن نفهم شخصية ليبيا الحقيقية بدون أن نتعرف على مكون أساسي يجمع الجميع ألا وهو مكون "الإسلام". فاللغة العربية والإسلام وحدت وسيلة الاتصال بين جميع مكونات المجتمع الليبي، فالإسلام منذ استقراره في ليبيا ، ورسوخه منذ بداية القرن الأول الهجري، ولم يصب بأي نكسة منذ ذلك الوقت بفضل ما قام به بعض الخلفاء والولاة من جهد لنشر الدين واللغة، بإرسال العلماء وفقهاء لتعليم السكان في ليبيا والمغرب العربي الدين الإسلامي واللغة العربية، مثل ما فعل الخليفة عمر بن عبد العزيز، وكذلك الهجرات العربية، وقيام دويلات أسلامية وانتشار المساجد[٢٢].

فالإسلام في ليبيا مظلة جمعت جميع مكونات المجتمع الليبي (الامازيغ والطوارق والتبو) وأصبح الإسلام جزءً من هويتهم وثقافتهم وعاداتهم، بالإضافة الي أن لغة القران الكريم، كتابهم المقدس، اللغة العربية، لغة مشتركة بين جميع مكونات الامة الليبية، فالإسلام هو الهوية الكبيرة التي لم تطمس الهويات الأخرى المحلية، بل حافظت عليها، وإضافة اليها.

---

(٢٢) محمد عابد الجابري الهوية الثقافية... والوطن والأمة والدولة ، موقع مجلة الاتحاد.ص ١٣

المطلب الثاني: المكون الثقافي

من أهم معالم المكون الثقافي في ليبيا (الروابط والزوايا) وله تأثير في تكوين بالإضافة إلى الروافد الأدبية (الشعر والنثر والقصة) والعلمية في العلوم العقلية والنقلية، الزوايا والرابطات، التي كانت نشأتهما بسيطة في مكان منعزل، بهدف العبادة أو تلقي العلم أو الدفاع عن تغور البلاد من الأعداء، ثم تحولت إلى مكون أساسي في التركيبة الاجتماعية، تساهم بقسط وافر في الجانب الديني والتعليمي والاجتماعي، ويصف ابن مرزوق الزاويا في المغرب بقوله: "والظاهر أن الزوايا عندنا بالمغرب هي المواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاجين من القاصدين"[٢٣].

إجمالا، فالزاوية مكان منعزل كان يستخدم، أولا مقرا لسكنى الشيخ الذي يلقن لأتباعه، بعيدا عن الضوضاء مبادئ طريقته، ولما كان هؤلاء الأتباع يأتون من بعيد، ويصعب عليهم الرجوع يوميا إلى أماكن استقرارهم، فإنهم يستقرون في الزاوية أو في الأماكن التي يبنونها حول الزاوية، ولا يقتصر الأمر على هؤلاء الأتباع، وإنما كذلك الأفراد أو الجماعات التي تتعهد بها الزاوية.

يبدو من خلال هذه التعاريف أن الزاوية ارتبطت بمجموعة من الأدوار الاجتماعية المحددة (التعبدي، الإيوائي، الإطعام)، والتي جعلت منها عنصرا فاعلا في التشكيلة الاجتماعية والسياسية وعلاقتها بالمجتمع

---

(٢٣) عباس ، إحسان : تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري ، دار ليبيا (بنغازي ١٩٦٧م) ص ٢١٠وكذلك الشيباني ، عمر محمد التومي : تاريخ الثقافة والتعليم في ليبيا ، مطبوعات جامعة الفاتح (طرابلس ، ٢٠٠١) ص٢١٥

والسلطة، ومن الادوار التي يقوم بها الزوايا هو الدور التعليمي و الاجتماعي، فقد كانت بالإضافة إلى وظيفتها الدينية معاهد لتعليم الشبان وتنوير العامة، وقد اشتهرت بعض الزوايا والخلوات الريفية حتى أصبحت محجة للزوار والطلبة، ومن ذلك زاوية الجغبوب التي تحولت معهد تعليم العلوم الدينية[٢٤].

وظاهرة التعليم في الزوايا ليست خاصة بالريف، ففي المدن أيضا كانت بعض الزوايا تقوم بدور ايجابي في نشر التعليم بجميع مستوياته، فالزاوية الاسمرية قد تحولت تدريجيا إلى مدرسة عليا أو معهد، وهذه الزاوية كان الطلبة يفدوا اليها من جميع بلاد المغرب وأفريقيا، بالإضافة الي ابناء ليبيا من جميع الاقاليم، ومن أشهر الذين درسوا بها في القرن العاشر: كريم الدين البرموني، وعمر بن حجا ، وأحمد بحر السماح، وزاوية الحطاب نسبة إلى الشيخ محمد بن عبد الرحمن الحطاب الكبير (ت ٩٤٥هـ)[٢٥]

وكذلك زاوية شيخ الزروق في مدينة مصراتة، ومن الزوايا التي لعبت دورا أساسيا في نشر التعليم في الأقاليم الشرقية والصحراء الليبية الزوايا السنوسية، التي اسسها الامام محمد بن علي السنوسي، الذي اختار ليبيا لأنه وجد في قبائلها وشعبها تعطشاً كبيراً لدعوته ورسالته النبيلة، ومن عبقرية هذا الرجل أنه استوعب البيئة الليبية بكل إشكاليتها.

---

(٢٤) عمر ، أحمد مختار : النشاط الثقافي في ليبيا من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر التركي، منشورات الجامعة الليبية (بنغازي ،١٩٧١م) ص٩٨

(٢٥) القابسي، نجاح : لمحات حول الحياة الثقافية في طرابلس في العصور الوسط – الاسلامية ، مجلة البحوث التاريخية ،مركز الجهاد الليبي ، السنة الثانية ، ع الثاني سنة ١٩٨٠م ص ١٤٥

ولقد كان المقيمون في هذه الزوايا والأربطة يقومون بجانب التعلم والتعليم، بنسخ الكتب وبعض الأعمال الصناعية والزراعية التي يتعيشون منها، وكان من الصعب التميز بين من هم من أصول عربية أو بربرية أو غيرهم، نتيجة التداخل والتمازج في تلك الزوايا أو الأربطة.

وللمرابطين بصمات علي الارض الليبية، فقبور الصالحين منهم أصبحت أضرحة أولياء، وحولها تكونت تكتلات سكانية أدت إلي استيطانهم بصفة دائمة، مثل مدينة بنغازي نسبة الي سيدي غازي[٢٦]

---

(٢٦) أبو رأس على محمد إبراهيم : لمحات عن الحياة الثقافية في ليبيا خلال (القرنيين٩-١٠هـ) أعمال ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي تنقلات العلماء والكتب من ٢٠-٢٣سنة ١٩٩٥م منشورات الدعوة الإسلامية (طرابلس ١٩٩٨م)ص ٥٩٥ . وحول الزاوية انظر الصديق ص ١٣١

المطلب الثالث: المكون التاريخي لمدن الليبية

مما يجب معرفته واستيعاب فهمه مكونات المدن الليبية، من خلال معرفة البعد التاريخي الاجتماعي والجذور التاريخية للمدن الليبية، فالجانب التاريخي والبعد الاجتماعي يعطي فكرة عن مساهمة المدنية وارتباطاتها التاريخية، ابتداء من التاريخ القديم وحتى نيل الاستقلال، كما أن المعالم التاريخية لأي مدينة تعطي طابعا أصيلا وذاكرة غنية عن المدن الحديثة التي تطورت من ظروف تاريخية مختلفة، فطالما أُنشئت ونظمت هذا المعالم التاريخية على أسس من التناغم البيئي والاجتماعي، "فالمدينة التاريخية" هي في الواقع - منذ نشأتها- نتائج لظروف بيئية واجتماعية وسياسية واقتصادية لسكانها، وهذا ما خلصت إليه جل الدراسات التي تعرضت إلى هذا المجال العمراني سواء من الناحية الهندسية أو الاقتصادية والاجتماعية وحتى الثقافية.

إن تحولات البنية الاجتماعية للمجموعات الاجتماعية في المدن في الماضي، هي المؤثر في التحولات الاجتماعية في الحاضر، وهذه التحول الاجتماعي متعلق بدوره بالتطور العمراني الذي تشهده المدينة عبر التاريخ، كما أن المجموعات الاجتماعية، والعلاقات الاجتماعية، وروابطها السلالية، تشكل النسيج الاجتماعي لسكان المدينة، بحيث تتأقلم مع متطلبات الحياة المتطورة، وتستجيب للضغوط الديموغرافية المتزايدة، والعوامل الاقتصادية

والثقافية المستجدة، التي تجسد نسج اجتماعي لتلك المدن، الذي مع الوقت يشكل الهوية[٢٧].

ففي النظام القديم كان الرعاة الزراعيون يتنقلون بحرية على الأرض سعياً وراء الكلأ والماء، ولم يكونوا يعترفون بأية حدود تفصل بين أجزاء وطنهم، وفي النظام الحالي ولدت المدن والقرى من مختلف الأحجام من خلال نظام تراتبي متأصِّل للأماكن المركزية، التي ثبت أنها تلعب دوراً أساسياً في مسألة الهوية، وقامت كل منها بدور البوتقة التي ينصهر فيها السكان القادمون من كل مكان في ليبيا[٢٨].

ودون الحاجة إلى الخوض في تفاصيل التطور التاريخي للمدن الأولى، يكفي القول إن اللبنات الأولى للإطار الحضري الحالي تمتد جذورها عميقاً في تاريخ ليبيا، ومن الأمثلة على تجمعات حضرية بنيت فوق مواضع مدن تعود للتاريخ القديم والوسيط أو بجوارها نذكر: طرابلس، بنغازي، شحات، صبراتة، زوارة، مصراته، زليتن، الخمس، درنة، طبرق، المرج، سوسة، طلميثة، توكرة، دريانة، وغيرها من المدن المنتشرة في جبل نفوسة ومنخفضات الصحراء الجنوبية مثل زويلة، جرمة، مرزق، غدامس وغات، وبعض المدن الأخرى، مثل سبها والزاوية والبيضاء فقد نمت كمراكز إقليمية مهمة في العصور الحديثة، بل إن البيضاء قد أصبحت في فترة ليست بعيدة

---

(٢٧) محمد شوقي مكي : علاقة البنى الاجتماعية -بالمجال العمراني -مدن الصحراء موقع تخطيط العمراني ص ٤، شعيره ، محمد عبد الهادي شعيره : الرباطات الساحلية الليبية الإسلامية ، مؤتمر ليبيا في التاريخ ، منشورات الجامعة الليبية (بنغازي ، ١٩٦٨م) ص٢١٠

(٢٨) مصطفي أحمد بن حموش : تحولات البنى الاجتماعية وعلاقتها بالمجال العمراني في مدن الصحراء الجزائرية موقع –أنثروبولوجيا ص ١١١

عاصمة للبلاد، في حين أن بعض المراكز الحضرية الأخرى قد ظهرت كمنتج طبيعي لأنشطة استثمار موارد النفط، مثل موانئ تصدير النفط: مرسى البريقة وراس لانوف والسدرة(٢٩).

إن المتمعن في المشهد الحضري في ليبيا، ولو لم يكن ذا معرفة واسعة بجغرافية ليبيا، سوف يلاحظ أن ذلك الانتشار الواسع للمواقع التي ذكرتها آنفاً يشير تقريباً إلى كل المدن والقرى المهمة، الكبيرة والصغيرة، التي تتكون منها ليبيا الحالية، وثمة استمرارية ملفتة للنظر توجد بين مكونات الأنظمة الحضرية القديمة في المدن الخمس في جهة الشرق، والمدن الثلاث في الغرب، ونظيراتها الحديثة التي نشأت في المواقع ذاتها، وبالطبع واجهت المراكز الحضرية القديمة جملة من الظروف غير الملائمة من الجمود والانهيار، ومع ذلك فإن الإطار العام للمشهد الحضري الذي ورثته ليبيا من تاريخها الماضي ظل في مجمله ثابتاً، وحافظ على نظامه المكاني الأصلي، ولعل من أبرز علامات هذه الاستمرارية الإبقاء على الأسماء الأصلية لكثير من المدن والأقاليم معرّبة مُنذ الفتح الإسلامي، وإذا ما نظر إلى هذه المراكز ونظيراتها باعتبارها نظاما مكانياً، فإنها تمثل مكونات تراتبية حضرية مرتبطة ببعضها البعض وظيفياً، كما لعلها كانت كذلك في الماضي البعيد.

من نماذج علي ذلك مدينة بنغازي

(٢٩) نصير عبد الرزاق حسج البصري : العامل الاجتماعي في تخطيط المدينة، موقع تخطيط العمراني ص٥.

كانت مدينة بنغازي قبل سنة من الفتح الإسلامي عام ٦٤٢ ميلادي الموافق ٢١ هجري متكونة من أغلبية من البربر وبعض من ذوي أصول إغريقية ورومانية، وبعد ذلك قامت مجموعة من البربر المعتنقين للديانة اليهودية بتدمير مدن شمال أفريقيا ومن بينها برنيق (بنغازي) بدعم من بيزنطة التي خسرت الحرب ضد الفاتحين المسلمين، وبعد هذا التاريخ أصبحت مدينة برنيق اطلال لمدينة مهجورة ولم تتم عودتها إلا في القرن الخامس عشر للميلاد، حيث استخدمها الليبيون من مصراتة كمحطة ونقطة تلاقي مع شرق ليبيا، وفي عام ١٤٥٠ كان من بين التجار التاجر غازي، الذي سميت به فيما بعد، كما تم تسمية المناطق والشوارع في بنغازي بأسماء العائلات التي تقطنها أو أسماء الأولياء الذين دفنوا فيها، مثل سيدي خريبيش، سيدي حسين، سيدي سالم، سيدي الشابي وغيرهم.

وعقب وقوع المدينة تحت السيطرة العثمانية تدفق السكان المجاورون من مسلمين ويهود وسكنوا المدينة، وكان الثقل السكاني يميل لقبيلتي الكراغلة (ذات الأصول التركية) والجوازي (ذات الأصول العربية) حتى عام ١٨١٧م، حيث هجر عدد كبير من قبيلة الجوازي على يد الباشا يوسف القرمانلي، ومن هنا بدأت التركيبة الديموغرافية للمدينة تتغير[٣٠]، وأضحى التآلف بين شرائح وأعراق المجتمع البنغازي واضحاً، الذي يعود بالأساس إلى أصول عربية وبربرية وتركية ويهودية ويونانية.

---

(٣٠) جربوع ، رمضان أحمد : بنغازي العصيّة «افتراضا».. المدينة وثقافتها ،مجلة العربي(٢٠٠٩)ص ١١٢وكذلك البرغوتي : تاريخ ليبي القديم ،ص١٨٠

وبعد اكتشاف النفط عام ١٩٦٤م وحدوث الطفرة الاقتصادية زحف الكثيرون من سكان الدواخل إلى المدينة في محاولة لكسب أرزاقهم، وانتشرت العشوائيات وبنايات الصفيح، ثم جاء عام ١٩٦٧م الذي شهد طرد شريحة مهمة من سكان المدينة، وهم اليهود الذين كانوا يشكلون أكثر من ٩٠ بالمائة من التجار، وشهد عقد السبعينيات تغييراً آخر في التركيبة السكانية عندما أزيلت العشوائيات وبنيت المساكن الشعبية، التي شجعت المزيد من الوافدين إلى الاستقرار بشكل نهائي في المدينة.[٣١]

(٣١) الطنطاوي ، وليد : أهمية دراسة التاريخ ، كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية ماليزيا ص ٦٧،

المطلب الرابع: المكون التاريخي

لما كان التاريخ مرآة الأمم، يعكس ماضيها، ويترجم حاضرها، وتستلهم من خلاله مستقبلها، كان من الأهمية بمكان الاهتمام به، والحفاظ عليه، ونقله إلى الأجيال نقلاً صحيحاً، بحيث يكون نبراساً وهادياً لهم في حاضرهم ومستقبلهم، فالشعوب التي لا تاريخ لها لا وجود لها، إذ به قوام الأمم، تحيى بوجوده وتموت بانعدامه[٣٢].

إنّ للتاريخ أهمية قصوى في حياة الأمم والشعوب، لذلك نجدها أولته رعايتها البالغة، وسعت إلى جمعه في شكل مدونات عن سير الأجداد، أو عبر المحافظة على الموروثات، أو من خلال القصص الشعبي، ليؤدي دوراً مهماً في تعبئة وجدان الناشئة، حتى ينشب الشبل ناسجا على منوال أجداده، محافظاً على قيم شعبه الموروثة كابراً عن كابر.

إن التاريخ الشفهي والمكتوب لنضال الشعب الليبي ينبئنا بأن الحفاظ على الوحدة الوطنية كان أمراً جوهرياً من أجل الحفاظ على الهوية الوطنية. وتعد الملحمة الشعرية الشهيرة: "ما بي مرض غير حبس العقيلة" نموذجاً كلاسيكياً لوصف المآسي والفظائع التي قاساها الليبيون إبان نظالهم البطولي ضد الاحتلال الإيطالي، ومع ذلك فهي تعبر عن معاني اللهفة للديار والهُوية المسلوبة والأمل في استعادتهما. وكي نفهم ملامح التغيير التي توحي بها الثورة الحالية، على صعيد تبلور الهوية وتطورها، علينا أن نعود إلى

(٣٢) البرغوتي : تاريخ ليبيا القديم ص٧، وكذلك ويكيبيديا، الموسوعة الحرة الموقع الجغرافي والأهمية المكانية - حائل طبيعيا وبيئيا ، جميع الحقوق محفوظة للهيئة العليا لتطوير منطقة حائل

الاستمرارية التاريخية من خلال مرحلة ما قبل الاستقلال والمرحلة الدستورية، ويفترض أن معنى من معاني الاستمرارية التاريخية مع هاتين المرحلتين الحاسمتين يعطينا ما نحسبه معنى للهوية الوطنية.

في الحقيقة لقد وجد الليبيون الفرصة للتعبير عن فهمهم المتميز لهذه الوحدة في ثلاث مراحل حاسمة خلال مائة السنة الأخيرة من تاريخهم، بدءاً من ١٩١١ حتى ٢٠١١م، وقد تجسد إدراكهم لمصيرهم المشترك بشكل واضح خلال ثلاثة عقود من النضال الموحد، سياسياً وعسكرياً، لتخليص بلادهم من حكم المحتل، ولقد جاء المقاتلون من كل مكان: من المناطق الريفية والحضرية على طول ساحل المتوسط، وكذلك من قبائل البادية وسكان الواحات في مناطق الداخل، فقد مثلت هذه القبائل مصادر حيوية لتزويد قضية التحرير بالرجال المقاتلين.

ثم مثل إعلان الاستقلال وإنشاء الملكية الدستورية سنة ١٩٥١ بداية مرحلة جديدة من التطور السياسي والاقتصادي، والأهم من ذلك أن الوحدة الوطنية قد ترسخت وتم المحافظة عليها من خلال درجة عالية من الوعي السياسي بالمصير المشترك لدى المواطنين جميعاً، وانطلاقاً من وعي الليبيين بهويتهم كوحدة سياسية مستقلة، فقد توجوا تطورهم السياسي، في منتصف الستينيات، باستبدال نظام الحكم الفيدرالي (الذي كان يشمل الولايات الثلاث السابقة: طرابلس، برقة، فزان) بنظام دولة الوحدة.[٣٣]

(٣٣) زياد ، نقولا: ليبيا الحديثة (دار الثقافة ، بيروت .١٩٦٦م)ص١٩٨

أما الثورة الحالية فإنها تتحدث عن نفسها بكل وضوح، فقد شرع الليبيون في البحث من جديد عن الحرية واستعادة الهوية المفقودة والديمقراطية، ومنذ اللحظات الأولى لتفجر ثورة فبراير، طغى على الجميع شوق عارم للراية الدستورية، رمز الاستقلال الوطني، فأخذت هذه الراية ترفرف في كل مكان، اعتزازاً، بلا أي شك، بتلك المرحلة التاريخية وبمنجزات الأجيال الماضية. ولا شك أن بروز العلم وانتشاره بشكل عجيب في كل مكان، بأعداد هائلة وبكل الأحجام، يعد مؤشراً لا تخطئه العين لإحساسهم بوحدة ليبيا وهوية سكانها.

المطلب الخامس: المكون الحضاري

علينا أن ننظر لتاريخنا كوحدة متكاملة وليس كأجزاء ممزقة هنا وهناك، ولا يمكن إعطاء معنى للتاريخ الليبي الا بهذه الكيفية. فإذا نظرنا إلى التاريخ الليبي بصورة كلية يمكن لنا أن نلاحظ تدفقاً ما لهذا التاريخ الطويل، الذي كتب وفق ثلاث مدارس أو اتجاهات رئيسية، الاتجاه الأول يقول: إن ليبيا كانت دائماً تعيش على هامش التاريخ وخارج دائرة الحضارة والتمدن، ولم يكن لها أي دور حقيقي في حركة التاريخ العالمي. والاتجاه الثاني يقول العكس تماماً، مؤكدا ان ليبيا كانت دائماً في صلب الحضارة الإنسانية، وما التراكمات الفينيقية والإغريقية والرومانية والإسلامية إلا تأكيداً لصحة هذا الاتجاه، وقد لعبت المدن الليبية القديمة دوراً أساسياً في الحركة الفكرية والفلسفية والسياسية العالمية، وأخيراً الاتجاه الثالث والذى قد يكون أقرب إلى الواقع والحقيقة يقول: إن التاريخ الليبي هو تاريخ التذبذب بين الاتجاهيين الأول والثاني، بمعنى أنه في بعض المراحل التاريخية برز دور ليبيا القيادي، كما هو الحال عندما حكم الأمازيغي شيشنق مصر، أو الدور الذى لعبه سبتيموس سيفروس في الحضارة الرومانية، ومدارس الحكمة الشهيرة التي ظهرت في الأكاديميات الليبية وخاصة في مدينة قورينا، وتأثرت بها المراكز الحضارية في كل من مصر واثينا وروما، وفي العصر الحديث قادة حركة الاصلاح في العالم الاسلامي بقيادة المصلح الكبير محمد بن علي السنوسي الذي استوعبت مأساة العالم الإسلامي[٣٤].

---

(٣٤) الحربي ، رمزي :ليبيا في مفترق طرق ٢٠١٣ مقالة موقع ليبيا المستقبل.ص ٤

المبحث الثالث: كيف نواجه الجهود المبذولة لتفتيت الهُوية في الأمة الليبية؟

١. أن نفسح المجال لجميع مكونات هُوية الأمة الليبية أن تعبِّر عن هويتها، ما دام هذا التعبير لا يفت في عضد سيادة الدولة.

٢. تطوير نظام التعليم؛ إذ عليه أن يقبل بالتعددية والوحدة الفضفاضة، بحيث يسمح لكل جماعة في إطار وحدة الدولة دون أن تفقد ما يميزها، بأن يقوم الأمازيغ، الطوارق، والتبو من دراسة ثقافتهم ولغتهم. فالأمة الليبية تسع الجميع، وهذا يعطي فضاءً واسعاً لجميع المكونات كي تبدع وتساهم في النهوض الحضاري.

٣. قيام وكالة أنباء تبيّن للجماهير مخططات الغرب التي تسعي لتفتيت الهُوية العربية، وتطرح مفاهيم وأفكار مثل طرح مفهوم الوحدة غير العضوية، فيما تعرف (الوحدة الفضفاضة)تواجه هذا الدعاوى المشبوهة.

٤. التخلص من التقليد والتبعية، وإرساء المنهج النقدي بين الأجيال، من خلال التعليم، والإعلام، والأنشطة الرياضية والفنية .

٥. تشجيع أفراد الأمة علي الإبداع، وهذا لا يتحقق إلا بالتعرف علي هويتها، لأنهم لو تعرفوا علي هويتهم، لكان بوسعهم أن يعرفوا أولوياتهم، وأن يقرؤوا ماضيهم وحاضرهم، ومن ثم يمكن أن نتحرك نحو المستقبل، بإقامة مشاريع تنموية حديثة متطورة.

٦. تعزيز اللغة العربية، تصحيح التاريخ: لأنهما من أهم عوامل الهُوية، ومصدر قوتها. فالإنسان بدونها يتحول إلى شخصية هشة لا يمكنها مقاومة منظومة العولمة[٣٥].

---

(٣٥) بكار ، عبد الكريم: تجديد الوعي ، جدة (دار البشير ،٢٠٠٩م).

الخاتمة: وتتضمن النتائج والتوصيات.

النتائج

توصلت في هذا البحث إلى عدد من النتائج وهي كما يأتي:

أ- معرفة مفهوم الهوية عمومًا في اللغة والاصطلاح ومفهوم الهوية الليبية.

ب- التوصل إلى تحديد أركانها وعناصرها وهي العقيدة واللغة والتاريخ .

ج- الوقوف على أثر العولمة على الهوية وخطرها في الهوية.

د- بيان أزمة الهوية.

ه- كيفية مواجهة وعلاج أزمة الهوية.

و- أن مكونات الهوية المكون التاريخي وهو من أهمها.

ز- ومن مكونات الهوية المكون الحضاري والاقتصادي.

ح- المكون الديني من أهم المكونات وله أثر فعال.

التوصيات

هناك مجموعة من التوصيات للباحثين والمفكرين، والمؤسسات التعليمية والأمنية وغيرها وهي كما يأتي:

١- تكليف جميع المؤسسات والجامعات والمؤسسات بعمل بحوث ودراسات حول الهوية، حتى تعم الفائدة فإننا لن نفعل الهوية تطبيقيا إلا بعد تحصيل المعرفة الكافية عنها.

٢- دراسة الآثار المعاصرة والحديثة المؤثرة في الهوية سلبًا وإيجابًا.

٣- تنشيط الدور الأمني في تعزيز الهوية الليبية، وتدعيمها، ومقاومة أعدائها.

٤- تقنين تشريع يجرم كل مساس بدين الدولة أو بتاريخها أو بلغتها.

٥- معاقبة كل من تعرض لدين الدولة أو لغتها أو تاريخها بالإساءة والتشوية.

٦- الحرص على غرز معاني الهوية ومفهومها في نفوس الطلاب منذ نعومة أظفارهم.

فهرس المصادر والمراجع

١-أبو رأس، على محمد إبراهيم :

i.لمحات عن الحياة الثقافية في ليبيا خلال (٩-١٠هـ) أعمال ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي تنقلات العلماء والكتب من ٢٠-٢٣سنة ١٩٩٥م منشورات الدعوة الإسلامية (طرابلس ١٩٩٨م) .

٢ .ابو عنزة ، محمد عمر :

a. واقع إشكالية الهوية العربية ،(جامعة الشرق الأوسط ٢٠١١) .

٣ .بن حموش ، مصطفي أحمد:

aتحولات البنى الاجتماعية وعلاقتها بالمجال العمراني في مدن الصحراء الجزائرية موقع –أنثروبولوجيا

٤ .البرغوثي، عبد اللطيف محمود :

A تاريخ ليبيا الإسلامي، من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر العثماني، منشورات الجامعة الليبية، دار صادر (بيروت، ١٩٧٢م)

٥ .لبصيري ، نصير عبد الرزاق :

i. العامل الاجتماعي في تخطيط المدينة، موقع تخطيط العمراني

٦ .بكار ، عبد الكريم :

i. تجديد الوعي ، جدة (دار البشير ،٢٠٠٩م).

٧.توري روسي :

a.ليبيا منذ الفتح حتي سنة ١٩١١م، ترجمة خلية التليسي، دار الثقافة (بيروت، ١٩٧٣م)

٨.الجربي ، رمزي:
i.ليبيا في مفترق طرق ٢٠١٣ رمزي الجربى ، مقالة موقع ليبيا المستقبل.
٩ .جربوع ، رمضان أحمد :
i.بنغازي العصية (المدينة وثقافية) ،مجلة العربي (د، ت، ٢٠٠٩م)
١٠.الرقعي ، سليم :
a.مفهوم الهوية الليبية (من هم الليبيون؟) ، موقع ليبيا المستقبل،
برابط : http://www.libya-al-mostakbal.org
١١ .زغو محمد:
a.أثر العولمة علي الهوية الثقافية ،الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية
١٢ .عابد الجابري ، محمد :
a.الهوية الثقافية، والوطن والأمة والدولة ، موقع مجلة الاتحاد.
١٣ .عباس ، إحسان :
a.تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى القرن التاسع الهجري، دار ليبيا (بنغازي، ١٩٦٧م).
١٤ .عمر، أحمد مختار :
a.النشاط الثقافي في ليبيا من الفتح الإسلامي حتي بداية العصر التركي، منشورات الجامعة الليبية (بنغازي، ١٩٧١م)

١٥.عمر محمد التومي:
a.تاريخ الثقافة والتعليم في ليبيا ، مطبوعات جامعة الفاتح (طرابلس ، ٢٠٠١)
١٦ .شعيره ، محمد عبد الهادي :
a.الرباطات الساحلية الليبية الإسلامية ، مؤتمر ليبيا في التاريخ ، منشورات الجامعة الليبية (بنغازي ، ١٩٦٨م)
١٧ .القابسي، نجاح:
a.لمحات حول الحياة الثقافية في طرابلس في العصور الوسط – الإسلامية، مجلة البحوث التاريخية ،مركز الجهاد الليبي ، السنة الثانية ، ع الثاني سنة ١٩٨٠م
١٨ .القعود، زكية بالناصر :
a.العوامل التي أثرت على الحياة الثقافية في طرابلس الغرب خلال العهود الإسلامية، دراسة في العلوم العقلية الفترة ما بين (٢-١٠هـ /٨-١٦م) ، مجلة الثقافة العربية، العدد الثاني (بنغازي،٢٠٠٧)
١٩ -المسيري ، عبد الوهاب:
ii.الهوية والحركات الإسلامية ، دمشق (دار الفكر ،٢٠٩م).
٢٠ .محمد ، سحور :
a.دراسات إسلامية معاصرة (في الدولة والمجتمع) (دار الأهالي ، دمشق) ،
٢١ .مهنانة ، إسماعيل :
i.العرب ومسالة الاختلاف (مآزق الهوية والأصل والنسيان) الرباط (دار الأمان ، ٢٠١٤)،

٢٢.مكي ، محمد شوقي:
.aعلاقة البنى الاجتماعية -بالمجال العمراني -مدن الصحراء موقع تخطيط العمراني
٢٣ .ناجي، محمود :
i. تاريخ طرابلس الغرب، ترجمة، عبد السلام، محمد الإسطي، منشورات الجامعة (بنغازي، ١٩٧٠م)

٢٤ - نقولا زيادة:
ليبيا الحديثة (دار الثقافة ، بيروت .١٩٦٦م)
٢٥ -وليد علي الطنطاوي:
أهمية دراسة التاريخ ، كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية، شاه علم – ماليزيا
٢٦ - كاظم ، ثائر رحيم :
العولمة والمواطنة والهوية : مجلة القادسية في الآداب العلوم التربوية ، العدد (١) المجلد ٨ (٢٠٠٩)

الفهرس